# نشأة اوربا المدنية

وما ادراك ما هي نشأة اوربا . هي تلك النهضة العجيبة التي علا في جو التاريخ الحديث منارها فبانت شأواً رفيعاً عديم المثال في ما سبق . حتى اصبحت قابضةً على ازمّة السيادة في عالم السياسة والادب والصناعة والتجارة والدين وفي كل دوائر الاجتماع الانساني مع انها اصغر القارات اتساعاً واوطأها جبالاً واقصرها انهاراً واقلها موارداً للسعة واحدثها عهداً في العمران

واذا ارسلنا النظر في صفحات التاريخ المعروف نرى ان الاولية في السيادة والارتقاء كانت لافريقية في وادي نيلها حيث نشأت المدنية وتصدرت افريقية في مجالسها نحواً من الف سنة على ما يقال . وتلاها في عرش السيادة المدنية اسيا في وادي الفرات حيث نشأت الدول الاشورية فالبابلية فالمادية فالفارسية نحواً من الف سنة ولكنها مع اتساع دائرة سلطانها لم تبلغ شأو العظمة المصرية في الاديبات وفروعها

وسنة ٣٣٢ قبل التاريخ المسيحي رفعت اوربا الخمصها وداست كبرياء اسيا وسلبت منها صولجان الرئاسة وذلك في معركة اربيلا التي فيها احرز الاسكندر فوزاً مبيناً على داريوس الفارسي وظلت اوربا الشرقية الجنوبية حامية الميدان في سوق المدنية والآداب نحواً من الف سنة . ولا نشطّ عن الصواب اذا قلنا بتفوق الامّة اليونانية في هذه الفترة على الامّة المصرية وعلى كل الامم السالفة في كل اركان الحضارة والآداب

ثم نشأت في الجنوب الغربي من اسيا قوّة جديدة عجيبة هي قوّة العصبية الاسلامية وهذه ايضاً كان لها دور مهم ونازعت اوربا الرئاسة المدنية والادبية وغلبتها في الاثنتين فنشرت الوبتها بسرعة غريبة على شطوط البحر المتوسط الشرقية والجنوبية اعني انها امتلكت غربي اسيا وشمالي افريقية . وعبرت بوغاز جبل طارق وامتدت في الجنوب الغربي من اوربا المعروف ببلاد اسبانيا . ولا زالت حتى بلغت جبال البرينز الفاصلة بين اسبانيا وفرنسا . وعبرتها قاصدة امتلاك فرنسا وسائر اوربا ولكنها ارتدت من هنالك راجعة بعد ان استست في بلاد الاندلس (اسبانيا) ملكاً اثيلاً فدارت حول اوربا وهاجمتها من الجانب الشرقي الجنوبي فافتتحت القسطنطينية ومكدونيا وبلغاريا والفلاخ والسرب والبوسنه والهرسك حتى بلغت اسوار فينا عاصمة النمسا ومن هنالك ارتدت ايضاً

وحينئذٍ ابلجت انوار النشأة الاوربية وبزغت اشعّة التاريخ الحديث الذي فيه اصبحت

اوربا مالكة اعنَّة السيادة العمومية من غير منازع . ولا نعلم الى متى يكون هذا الانفراد لها ومن سيخلفها في ميدان السيادة

وليس من غرضي الآن النظر في التمدن الاوربي من حيث هو ولا في اسباب الانحطاط المدني في اسيا. انما اقصد البحث في اسباب النشأة الاوربية الحديثة على قدر ما يمكن من الاختصار وادعو تلك الاسباب اركانًا . وهي حرية بالبحث عنها والتمعُّن فيها نظرًا لما في ذلك من اللذة العقلية والفائدة العملية

والبحث عن العلل من غريزيات الطبع البشري . فانك اذا رأيت شجرة كبيرة الحجم غليظة الساق طويلة الفروع زاهية زاهرة تعلم ان وراء تلك النضارة الخارجية جذورًا عميقة متشعبة قد انبثت في التراب الى اعماق متباينة استمدَّت منهُ الغذاء وارسلتهُ في قنوات داخلية معينة لهذا العمل حسب حكمة بارئ الوجود. وان تلك القوة هي علَّة ما ترى في الشجرة من العظمة والنضارة

والتمدن الاوربي او المدنية الاوربية تلك الشجرة العظيمة الطويلة الاغصان الناضرة الزاهرة التي يتآوى في اظلالها اكثر من اربعمئة مليون اغصانها القوات السياسية واوراقها القراطيس المالية وازهارها الآداب والفنون واثمارها الحياة المدنية المنتظمة لا بدَّ لها من جذور عميقة منبثة في تربة التاريخ قد استمدت لها القوة للخصب والنماء . وسأتحرَّى البحث في تربة التاريخ لاكتشاف الاسباب المعدة والمتممة بحسب تفاوتها بعدًا عن ظهور النشأة الحديثة وتأثيرها فيها

## الركن الاوَّل المدارس

اريد بها المدارس التي أُنشئت في اوربا حسب نظام مخصوص لتكون موارد الآداب والفنون وقد قصدها جماعات الدارسين حينًا بعد حين واستقوا من سواقيها مياه الحياة الادبية الصافية . ولربما تكون المدارس من اعمق الجذور في شجرة النشأة الاوربية واعظمها تأثيرًا فيها لانها ضاربة في اعماق التاريخ الى قلب القرون المظلمة . فان مجمع طليطلة المنعقد سنة ٥٨٦ لاغراض دينيَّة قد حثَّ على انشائها . ولكنها لم تبرز الى حيِّز الوجود او تتدرج في سلك الانتظام الى عهد شارلمان امبراطور الدولة الرومانية الغربيَّة التي انقسمت بعد وفاتهِ الى فرنسا وايطاليا والمانيا فلمَّا ابتغى شارلمان ترقية داخلية مملكتهِ عمد الى انشاء المدارس وتعزيز جانبها لانهُ رأى بثاقب رأيهِ انها من خير الوسائل لبلوغ الارب . وذلك يوضح لنا انهُ كان في ذلك الامبراطور عقل واسع وقلب حكيم يعز وجودهما في غيرهِ من العظماء في اجيال التاريخ الماضية وبهذا الاعتبار كان شارلمان الكوكب الساطع في ليل الاجيال المظلمة يشعّ على روابي اوربا انوار المعارف الادبية . وقد ساعد شارلمان في عملهِ المبرور هذا الاسقف الكوين البريطاني

والاسقف اكيمنفس الارلاندي لكن نُسبت العمل اليه وحدهُ لما لا تخفى على اللبيب معرفتهُ. وفي كل الحوادث التاريخية نقف على حوادث عظيمة نُسبت الى بعض محدثيها دون الذين لهم اليد الطولى في ايجادها . وليس ذلك من اغراض بحثنا هذا

ومع ان شارلمان اسَّس المدارس لم تبلغ في ايامهِ ارقى ذرى مجدها بل بلغت ذلك بالنمو التدريجي الذي هو المنهج الطبيعي في كل ذوات الحياة ولم تبلغ الشأو الرفيع حتى بعد وفات منشئها بثلاثة قرون وكان عصرها الذهبي القرن الثالث عشر والرابع عشر كما سيجيء

ومات شارلمان وانقسمت دولتهُ وحبط مشروعهُ الثيوكراتيكي ( المشروع الثيوكراتيكي عبارة عن انشاء مملكة تعم جميع العالم تحت رئاسة الله ) لكن عملهُ لم يمت ومشروعهُ الادبي لم يحبط بل انتج اكثر مما قصد منهُ اذ لم ينحصر فعلهُ في فرنسا وجيرانها بل عم اوربا جمعاء وانتشر منها الى كل العالم . ففي سنة ١١٠٩ مسيحية أُنشئت مدرسة كمبردج وسنة ١١١٩ مدرسة بولونيا وسنة ١١٤٩ مدرسة اكسفرد وما زالت المدارس تنشأ واحدة فواحدة حتى بلغت في القرن الرابع عشر نحو ٦٤ مدرسة جامعة في اوربا ( لقب جامعة اخذتهُ المدارس سنة ١٢١٥ من البابا انوشنسيوس ) منها ١٥ في فرنسا و ١١ في ايطاليا و ١٥ في المانيا و١٣ في انكلترا والبقية في بقية اقسام اوربا

وكان فن اللاهوت عمدة العلوم المدرسيَّة كما كان اللاهوتيون عمدة الاساتذة في المدارس والعلوم السبعة التي كانت تعتبر يومئذٍ انها دائرة المعارف وهي النحو والبيان والمنطق والحساب والهندسة والفلك والموسيقى كانت توابع لعلم اللاهوت تدور حولهُ كما تدور السيارات حول الشمس وتستمد منهُ نورها وحرارتها امَّا علم الطب والكيمياء فكانا في حيّز الخفاء وجل مباحثهما خرافيٌّ عقيم

وفي اواخر القرن الثالث عشر اتسعت دائرة العلوم بادخال مبادئ جديدة الى باحات المدارس . ومن ثمَّ انقسم اساتذة المدارس سنة ١٢٨١ الى ثلاثة اقسام هم اللاهوتيون والاطباء والفقهاء . ولا زالت دوائر البحث تتَّسع وتوسَّع معها دائرة العقل الانساني الى ايام باكون الفيلسوف الانكليزي ومن ثم نشأت المبادئ الطبيعية ودخلت المدارس في طور جديد هو طورها الحالي الذي نراها فيهِ

وكل ناقدٍ خبير يستطيع ان يدرك لاول وهلة تأثير المدارس في اعداد اوربا للنهضة الحديثة . فقد انارت العقول والاذهان وشحذتها وثقَّفتها وشحنتها من جوهر الحقائق النفيسة . واحيت الهمم العالية وبثت في صدور البرابرة الالمانيين المبادئ الادبية السامية . فجهَّزت اوربا

برجال العقول — رجال العمل — رجال الحزم — رجال الافكار — الذين لهم اليد الطولى في احياء معالم الفضيلة اذ اوروا زناد الفكرة فاضرموا نيران المعارف الجليلة وشمروا عن ساعد الجد وراء الاعمال الخطيرة ومن اهمها الاكتشافات العلمية والاختراعات . كاسلاك البرق وآلات البخار وما بني عليها مما لا يسعنا المقام ذكرهُ من الاعمال المفيدة التي توَّجت اوربا بتيجان الفخر والظفر . وكل ذلك او اعظمهُ على الاقل كان من اعمال طلبة المدارس الذين رفعوا اوربا برؤوس اقلامهم السيَّالة في اعين جميع الامم وقرنوا ذكرها بالفخر والاجلال في سائر الاقطار والامصار واحلوها المحل السامي في كل الدوائر المدنيَّة . فاضحت اوربا القارة الصغيرة موردًا في كل الكرة الارضية يقصدها الظامئون الى مياه العلوم والآداب

ولا ريب في ان المدارس منار الانسانية وعنوان المدنيَّة جامعة اشتات الاذهان وعماد السيادة والارتقاء . قارنة العلم بالعمل . فاينما حلَّت المدارس حلَّت السعود والمفاخر وايَّان علا منارها تبرَّع وجه الزمان حتى اننا بكل حقٍّ نقيس مدنيَّة كل قوم بمدارسهم وعلومهم والحال الحاضرة خير شاهد لصدق ما اقول

الركن الثاني . السيادة والفروسية

السيادة او النظام الاقطاعي المسمَّى عند الاوربيين بالفيودلازم هي نوع خاص من الهيئة الاجتماعية نشأت في اوربا على اثر انحلال عضد الامبراطورية الشارلمانية . على ان ذلك النظام لم يبلغ شأوهُ الاَّ بين القرن الحادي عشر والقرن الثالث عشر الذي ختم بسقوط ذلك النظام سقوطًا قانونيًّا على انهُ استمرَّ في بعض الاقسام الاوربية بعد ذلك طويلاً

وماهية ذلك النظام هي ان الملك كان رئيس البلاد تحت سيادة الباري سبحانهُ . لكنهُ كان ملكًا بالاسم والرسم فقط والملك الحقيقي او الملوك الحقيقيون في البلاد هم السادة الذين كانوا ملاَّك الاراضي وارباب السلطان المطلق عليها وعلى العاملين فيها . وكانوا يقاطعون خدامهم عليها وكان اولئك الخدَم ارقَّاء لاسيادهم يبيعونهم ويشترونهم مع الاراضي كما تباع الابقار والدواب التابعة لها

وحين يدخل اولئك المقاطعون او بالحري الارقاء الفلاَّحون في خدمة سيدهم كانوا يحلفون يمين الطاعة لهُ كما كان يحلف اسيادهم يمين الطاعة للملك متعهدين بالقيام بخدمة سيدهم كل حياتهم والمحاماة عن حياتهِ واملاكهِ الى آخر نقطة من دمهم . فكان السيد يبني قصرهُ في وسط اراضيهِ فيسكن في الطبقة العليا ويترك السفلى وما يحيط بها لسكن العبيد الذين هم الفلاحون مع الابقار والخيول وبقية الحيوانات الداجنة

وبهذا الاعتبار كان الملك يمثل الشمس والسادة حولهُ كالسيارات والفلاَّحون حول اسيادهم كالاقمار حول سياراتها

امَّا الفروسية فهي جمعية فرسان غايتها المحاماة عن حقوق الكنيسة والمظلوم والقاصر ومع ان هذه الجمعية نشأت قبل شارلمان فقد كانت مرتبطة بالنظام الاقطاعي حتى قال احد المؤرخين ان الفيودلازم امم الفروسية وقائدتها فقامت بحياتها وماتت بموتها نظرًا لارتباط المقصد بينهما وتبادل المصلحة كما يتبيَّن ذلك من نظامها وهو على ما يأتي

كان يعد الولد دنيئًا بموجب شرائع الفروسية الى الحادية عشرة من عمرهِ ومنها الى الحادية والعشرين يحسب شريفًا وفي ذلك السن ( الحادية والعشرين ) يسوغ لهُ ان يدخل طغمة الفرسان على الاسلوب الآتي : في يوم تعينهُ الطغمة وفي حضرة اعضائها وجمهور غفير يركع طالب الفروسية تحت السيف ويسمع عظة دينية حماسيَّة وبعد استماعها يقسم متعهدًا بتكريس نفسهِ للدفاع عن الكنيسة والضعيف وعندها يأخذ السيف ويقبِّلهُ ويلبسهُ فيحسب فارسًا . والامر واضح ان الفرسان كانوا ساعد السيادة وعمادها الذي عليهِ ترتكز وبهِ يُشد ازرها . كما كانت السيادة مورد الخصب والسعة للفرسان ومنها يستمدون قوَّتهم واتجادهم . والخلاصة ان النظامين كانا مرتبطين معًا . وقد نمت السيادة وتموها نمت الفروسية واتسع نظامها . وكلاهما انتهى بانتهاء الحملات الصليبية واخليا الميدان للملكية التي كانت تنمو على التوالي وحيث نمت وتقوَّت شوكتها كانت تضعف السيادة والفروسية حتى تلاشتا اخيرًا

ومع ان النظام السيادي والفروسية قد زالا باكرًا فلا يسع المنصف ان يتخذ ذلك دليلاً على عدم تعلقهما بالنهضة المدنيَّة الحديثة . بل ارى ان نفس زوالها هو الدليل على علاقتهما بتلك النهضة لانهما بموتهما اعطيا مكانهما وقوتهما لعامل آخر يعمل باسمهما وقوتهما فاحدث النتائج التي نحيا الآن بعدها . وكما ان الجذور لا تُتخذ اختفاؤها دليلاً على عدم علاقتها بالشجرة كذلك نظام السيادة والفروسية لا يحسب انقضاؤهما دليلاً على عدم علاقتهما بالنشأة الاوربية . لانهُ من المؤكد ان هذه النشأة هي نشأة ادبية مدنية فكل ما ساعد على ترقية هاتين النقطتين او احداهما فهو من اركان تلك النشأة بلا امتراء . واي خبير في تاريخ اوربا يستطيع ان ينكر المساعدة الكبرى التي امدَّت بها هاتان الجمعيتان الهيئة الاجتماعية الاوربية . فانهما كانتا حاضنتين للاستقلال الشخصي ومرضعتين روح المروءة والشهامة . فربَّتا المؤاساة والايثار . وكل عاقل يستطيع ان يدرك اهميَّة الاستقلال الشخصي في النشأة الاوربية . ذلك المبدإ السامي — مبدإ النخوة والحمية — مبدإ الشرف والشهامة — حياة العمل — حياة الاجتماع —

روح الفضل الذي ما سكن قلبًا الاَّ قدَّسهُ واعدهُ لحلول اجلى عرائس المدنية والآداب . فكل بلاد ساد فيها روح الاستقلال الشخصي والمروَّة والشهامة لا يقوى عليها مانع يمنعها عن الارتقاء

ولا يخفى على الفطن ان اعتماد الانسان على نفسهِ بعد الله هو اس النجاح الحقيقي وان استعمال القوَّة الشخصية هو حياة المدنيَّة وغذاء تلك الحياة . فقد عاشت الهيئة الادبية في ظل السيادة والفروسية قسمت بذلك من نوازل الخشونة البربريَّة لان هذا النظام كان حارسًا حصينًا ضدَّها . وحفظت مركزها في الهيئة الاجتماعية واضحت وسيلة لاعلاء شأن اوربا في القرون التالية . واذا كنَّا نحسب رفعة المرأة اكبر مساعد بل اكبر العوامل في احداث النشأة الاوربية فالفضل في رفعتها وصيانة حقوقها عائد على نوع ما الى نظام الفروسية الذي كان في القرون المظلمة عمادها الوحيد . وعليهِ فقد كانت الفروسية حلقة متوسطة بين الهمجيَّة والمدنية او البرزخ الذي عليهِ مرَّت قبائل اوربا من طور الهمجية الى طور التهذيب ودماثة الاخلاق

## الركن الثالث الحروب الصليبيَّة

هي اشهر الحوادث في التاريخ المتوسط واغرب الاعمال في التاريخ العام . وقد شغلت هذه الحوادث اقلام كثيرين من فلاسفة المؤرخين والكتَّاب في القرون الحديثة . فمدحها البعض وذمَّها آخرون على انهُ ليس من غرض هذه المقالة مدحها ولا ذمَّها بل تبيان علاقتها بالنشأة الاوربيَّة الحديثة

الحروب الصليبيَّة نتيجة عوامل عديدة متنوِّعة وهي نقطة اجتماع مجارٍ كثيرة من حوادث التاريخ . منها التعصُّب الديني والبغض العميق المتأصِّل بين اهل المشرق واهل المغرب الناشئ عن تنازع البقاء فقد انتشرت الديانة المسيحيَّة في العالم ونشرت معها الادعاء بانها صاحبة السيادة الدينيَّة وقد نجحت في دعواها اذ قلبت التمدن الروماني والديانة الوثنيَّة التي كانت مقترنة بهِ وحلَّت محلهما وصارت ديانة اكثر العالم المعروف حينئذٍ اي جنوبي اوربا وغربيها وشمالي افريقية وغربي اسيَّا والشمال الغربي منها . ولكن بعد ظهورها بنحو ستمئة سنة ظهرت الديانة الاسلامية مدعية السيادة الدينية كالمسيحية ومدعية ايضًا مدَّعًى آخر لم تجاهر بهِ المسيحيَّة وهو حق استلام السياسة العامَّة . ومع ان الديانة المسيحيَّة لم يكن قبضها على ازمَّة السياسة من مبادئها الاساسيَّة بل حصلت عليهِ من جملة التوفيقات الملائمة لرفع كلمتها وانتشارها عزَّ عليها ان تساهل للاسلام بتسليم صولجان الملك . ولما احسَّت انهُ تنازعها السلطة على العالم المتمدن ورأت رأي العين بريق الاسنَّة والنصال تحت راية الاسلام وان بنودهُ واعلامهُ تخفق في بلاد فبلاد حتى حلَّ الجانب الاعظم من العالم المتمدن اوجست خيفة منهُ وقد زاد الطين بلَّة ان

الدم البربري كان لم يزل حاميًا في عروق القبائل الطوطونيَّة ونظام الفرسان زاد شبان اوربا عتوًّا وعنفوانًا حتى اذا طرقت مسامعهم الاخبار المكدِّرة عن اخوانهم في الشرق من وطنيين وزوَّار ودوت في انحاء اوربا اصوات الاستغاثة بالسنة الرهبان والرؤساء الروحيين هاجت اوربا وماجت وشهرت على الشرق والاسلام حربًا عوانًا غرضها الاول استخلاص الارض المقدسة من ايدي المسلمين فجيَّشت الجيوش وشنت الغارات وكرَّت على المدن السورية من انطاكية الى اورشليم كرات متوالية الواحدة بعد الاخرى تلقتها جنود المسلمين بالهمة العلياء والغيرة الشماء والتحمت بين الفريقين المعارك الدموية زهاء المئتين من الاعوام . وماذا كانت النتيجة ؟ الانفصال التام بين اوربا واسيا على أن تلك النتيجة انما كانت ظاهرية وقتية اما النتائج الكبرى التي فازت بها اوربا فهي اولاً انتقال آثار الآداب والفنون اليها من المشرق . وذلك يتبين من ملاحظة حالي اوربا مدنيًّا قبل هذه الحملات وبعدها. فاذا راجعنا اسماء الكتَّاب الاوربيين في القرون الثلاثة التاسع والعاشر والحادي عشر يندر ان نجد بينهم من يستحق لقب عالم او فيلسوف في الوقت الذي كان العرش العبَّاسي في دار السلام (مدينة بغداد) مكتنفًا بحلقات الشعراء والمترجمين ومزدانًا بكواكب الفلاسفة والمؤلفين الذين وجدت العلوم اليونانية ملجأً لها في صدورهم ومغانيهم في زمن فتوَّة اوربا وهمجيتها . ولكن بعد الحروب الصليبية زاد عدد المشاهير الذين نبغوا في كل ممالك اوربا فقد عاش فن الشعر والتمثيل في فرنسا وبريطانيا والمانيا. ودخلت مدارسها طورًا جديدًا وبزغت في تلك الاقطار انوار المعارف المنبعثة عن قرائح الفلاسفة . ومن المقرَّر ان ذلك لم يحصل بالصدفة العمياء لان الصدفة اسم لا مسمى لهُ في تاريخ الاجتماع البشري . ولم يكن ذلك لمجرَّد نموٍّ بسيط في المدارس الاوربية الشارلمانية . ولم تكن المدارس الاوربية لتبلغ ما بلغتهُ في القرن السادس عشر لو لا اتصالها بعالم المعارف الشرقي واطلاع رجال العلم في اوربا على افكار اسلافهم اليونان من جديد . وقد حملهم ذلك على نقلها الى بلادهم ولغاتهم لان روح الشهامة الذي جرى في نفوسهم مجرى دمائهم في عروقهم ابى ان يسمح لهم ان يرضوا بالخذلان في عالم الفضل الادبي . فترجموا وصححوا وقابلوا والَّفوا ونقحوا حتى اصلحوا مدارسهم ومعارفهم وابلغوها ارقى الذرى

ومن المعلوم ان الحملات الصليبية لم تقتصر على جرّ الفوارس الى سواحل اسيا بل كانت مصحوبة بكثيرين من الباحثين والمنتقدين الذين كان جل قصدهم وغاية مناهم الوقوف على اسرار الارتقاء في المشرق . وكان همهم في استلاب تيجان الفخر الادبي من اسيا ليس باقل من رغبة اخوانهم المجتهدين في استخلاص بيت المقدس من ايدي المسلمين. فكان اذًا تمام اوربا

باسيا في تلك الفترة نقطة تمغط ادبي نقل الى اوربا من اسيا كهربائية الافكار فاهتزت الباب رجاها وجرت في ميدان الحياة الادبية بقوة جديدة

وقد خدمت الحملات الصليبية اوربا من وجه آخر غير ما تقدم وهو انها صدّت عنها غارات الاتراك ريثما تمكّنت من جمع قوتها وتهذيبها ولولا ذلك لنشر لواءهم في فينا وبرلين وباريس ولندن ورومية وكانت حالة تلك المدن الآن اشبه بحالة دمشق وطهران وهرات والقاهرة وتونس قبل الربع الاخير من القرن الماضي وكانت ممالك الرين اشق حالاً من وادي الفرات والنيجر في هذه الايام. ولكن لما برزت قوّة اوربا التي كانت مستترة عن اعين الفاتحين واندفقت كتائب الفرسان من قلب فرنسا والمانيا الى سواحل اسيا اندفاق السيل العرم ودوت في اسماع مناظريهم في الشرق اصوات الطبول وحمحمة الخيول وقعقعة السيوف وخفقت في سهول الاناضول وسورية الاعلام الصليبية وشاهد المشرق من اوربا ما لم يكن منهُ في حسبان اذ رأى كثيرين من الامراء والملوك قد غادروا القصور والعروش تاركين النعيم ليكونوا قوادًا وتجاهدين في تلك الحملات. اقشعرّت ابدان ابنائهِ وسكتوا عن الفتح المطلوب واضحى الصلح والتخلّص من كرّات اوربا ضالتهم المنشودة والمغنم الذي يجرون وراءهُ . وبعد ما انقضت تلك الحملات بمدّة مئتي سنة لمّا عاودت الاتراك النخوة وهمّوا بشن الغارة على اوربا كانت استعداداتها قد تكاملت وكلمتها قد توحّدت واحساساتها قد تمازجت بما احدثتهُ هذه الحملات في اعضائها من التآلف والتواد فاستطاعت ان تصد هجماتهم عن اسوار فينا كما ردّت سابقًا الاعراب عن حدود فرنسا

وكان اسبين قد حان لنمو الفرع القوطي في اسبانيا وتقويتهِ فتمكّن من اخراج العرب من الاقطار الاندلسية كافةً وبذلك امنت جبال بيرانيز وسهول بيدامونت شر الغزوات . وتفرّغت افكار ساكني تلك الاقطار للاكتشافات الجغرافية التي جرّت لاوربا اسنى المفاخر . وكانت قد امتلأت افكار الاوربيين من التصورات الحديثة فاتسعت عقولهم وسمت مداركهم حتى صار يشار اليهم بالبنان وقبضوا بيد حديدية على زمام الفضل الادبي في القرن الثالث عشر قرن العلوم والغرائب والفرسان والابطال القرن الذي حبل بالنهضة الاوربية الحديثة

(ستأتي البقية) خادم الانسانية